رشيد بوجدرة أو الطفـل المرعـب

جـان ديجـو

ينتمي رشيد بوجدرة الى الموجة الجديدة من الروائيين ـ الشعراء الجزائريين الذين ظهرو كـ « أطفال مرعبين » في الوقت الذي بقى فيه الآخرون ملتزمين بالصف وتوقف آخرون عن الكتابة . وروايته « الطلاق » مدرجة في مقرر الدراسة بكلية الآداب بالرباط في حين لم يعلن حتى عن صدورها من اذاعة الجزائر . وفي أواخر سنة 1969 قدم لها مهتم بالادب باذاعة الجزائر على نحو سريع وتقريظي .. عند ما ظهرت الروايه سنة 1969 اهتمت الصحافة الاجنبية بها فورا لكي تتكلم عن « اخلاقيات الاجداد » (الاكسبريس) أو عن « شرور العشيرة » (الآداب الفرنسية) .. وعند ما نشرت رواية ادريس الشرايبي « الماضي البسيط » كتب البعض يقول على ان عشا من الافاعي موجود بارض الاسلام .

ويمكن أن نقول بأن رواية « الطلاق » جاءت بدورها لكي تندد بعالم يظهر متكلسا في أخلاقياته ومحروما من « رغباته المخيفة » وقلقا في اهتماماته المهووسة .

وهذا النوع من النقد الذي يترصد الرسوم والكتابات التي تعزز طريقتهم في أن يروا الآخرين هو جد مضايق . واستغل اليمين شهادة « زبيدة بيطري » « يا أخواتي المسلمات ابكين » (1964) لصالح الجزائر الفرنسية : « ترون جيدا الحالة التي هم فيها .. ففرنسا وحدها يمكن أن تقوم بعملية تمدين لهم » . هذا باختصار منحى الافكار السائدة عند تقديم الكتاب بفرنسا (باريس) والآن يستغل اليسار رواية بوجدرة : فالدين ، والاسلام والاخلاق تعتبر قاهرة هذا ما قيل دائما ، انكم ترون ذلك جيدا !

وليس من الاكيد غالبا أن نحد سهولة لان نحافظ على رزانتنا وموضوعيتنا تجاه بعض الاعمال . والتطابق هي من هذا النوع . وعلى كل حال فان بوجدرة يأخذ مكانه في هذا التيار الادبي لشمال افريقيا وذلك على نحو عتيق : دفع الباب بضربات الارجل وقلب الكراسي . انما يتخذ مكانه وهو يكسر الاشياء كمريض في حالة هذيان .

ويتوصل شباب الى قراءة الكتاب المشتغل ولا يلبثون أن يشعروا بنفس الازمة التي أحس بها الكاتب . ومن ثمة فهم بحاجة لان يصرخوا ولكن الى أين سيفضي بهم هذا الصراخ ؟

وكباقي الروائيين ـ الشعراء ، وابتداء من سنة 1966 ـ 1967 ـ وعلى الاقل اولائك الذين يحتجون ـ فان بوجدرة يعمل على أن يدفع ويوجه انتقاداته الى مجتمع بورجوازي بيوريتاني وأيضا الى نظام سياسي معين ، هو الذي أجهضت الثورة على يده . ومن هنا يلتحق بـ « مراد بوربون في حجـــه الالحـادي »

« أود لو امتص دبال الارض كلها / أود لو أكسر كل انسجام قـذر / التجديف الذي ينضج » .

1 ـ **العمـل** : لماذا أكتب ؟ يشرح رشيد بوجدرة في احد اللقاءات معه على أنه أثناء مراهقته تأثر بجملة لفكتور هوغو « اكتب أو اني لن أكـون شيئا » (1) . و « الطلاق » عمل نضج بداخلي طويلا ومن ثمة أتى كما هو (2) فالكاتب على ما يظهر يكتب وهو بحاجة لا شك فيها لان يقول حقائق وفي نفس الوقت يشفى من معضلة تلاحقه منذ صباه . وعبر في البدء عـن هـذا الشعر قبل ان يتفرغ لكتابة الرواية .

1) « **حتى لا نحلم أبدا** » : هذا هو عنوان مجموعتـه الشعريـة . فـ « الحلم يحررنا » كما يقول الكاتب . ويقول أيضا « اني أومن بتداخل الحلم والواقع » (3) . ظهر بعض من هذه الاشعار في مجلة « كوريس » طوال شتاء 1963 . والذي لا شك فيه هو ان الواقع يقلق الحلم . والكاتب كانسان الكلمة يفضي الينا بدون حنان باهتماماته القسرية ورغباته وآماله ووساوسه . ويكتب جمال بن الشيخ مناقشا هذا العمل :

« ان حركة الكلمات تتتابع بسرعة الى حد ان الجملة لا تجد الفرصـة لكي تنتظم ، تطول تهيىء الجو لتركيبة بمقتضاها يمكن للقصيد أن ينحـو باتجاه أعمق ، ان تبعث صدى داخليا ومن ثمه يقود الفعل Le verbe الى دوار عن طريق مزية الاصوات فقط . فالبيت يتصف بكونه في الغالب موجزا ، متقطعا ، مختزلا في كلمتين أو ثلاث وذلك تبعا لمنهج في التقطيع محدد (.) انها معركة يخوضها الشاعر (....) وان تحليلا لعناوين قصائده («لعنات» ، «صرخات» ، «هذيان» ...) وبخاصة لقاموسه الشعري ليدلنا على هيجان حقيقي ، لا على مستوى اللغة ، التي تجيىء بسيطة ولا بتكلف في البحـث عنها ، وانما على مستوى الكلمة الواحدة نفسها . ومن هنا يمكن بسهولة وضع قائمة للكلمات المستعملة جدا والتي تشير الى الاختيار المتعمـد للعنـف وللمواضيع الثابتة لشعره » (4) .

فالقصيدة المعنونة « صلوات » (المكتوبة سنة 1963) تلحق بالتمرد المناهض للاب في الرواية .

« هنـالـك صلـوات لا تعـرف السكـوت
هنالـك دمـوع لا تعـرف البكـاء
ورغبـات مـرعبـة لا تـريـد أن تمـوت .
أود دائما ان أعرف القمطر المقيت
والاصوات المتلجلجة لـرفـاق الصبـا
أود دائمـا ان أعـرف الحصيـر المعـروق
والعيون المستنقعية للاستاذ الذي يتارجـح .

اتـذكـر عيـون الفئـران
وأحـلامـا في شكـل اسنـان سـوداء
افكر في العذابات والرفـاق الضائعيـن
وعـدد النسـاء الـلائـي عـريتهـن .

لمـاذا أحلـم أنـي قتلـت أبـي ؟
وان بنات الوردان لهـا ايـادي رائعـة ؟
(. . . . .)
احسب دقائق الساعات من فرط السـأم
واحاول أن ارحل من جديد الى ايام أكثر مهارة
لكن التجديف المهتريء يغمر ليالـي
ومرة أخرى اسبح بصلواتي ».

وفي سنة 62 أرسل الشاعر من « برشلونة » قصيدة الى أصدقائـه : La nouvelle وقال لهم على انها « حمل لزج / يتضجر » . وعلـى انهـا « المنفى المنخور » .

ويقـول في قصيـدة بيـان :
انـي منهـك بالـوحـدة
ولذلك أريد أن اعتصـر الحجـر
لاستخـرج منـه
دمـوعـا بـلا اسنـان
(. . . . .) سأذهب / لاسن من آلامي / ثلاث نقط كبيرة /
املأ بها عيونك / وذاكرتك . »

آلام ، رغبات ، اثارة الرغبات الحسية ، دوار الانتحار ، دموع الانثى تعقب الكدمات ، « رغبات حمقاء » ، الصور والصراخ يتداخلان بسرعة وبغضب الى حد أننا لا نعرف ما عشناه وما حلمنا به ومن ثمة نناقش :

« اني اجعل يدي التي افتحها بكامل اتساعها ترتعش
واجعل جنوني يصرخ بقوة قلبـي
وبعيون اصلي بمرارة / واجادل واجادل ، اجادل ...

وأجادل ليالي طويلة / أعصابي تنتصب فولاذا .
الدخان يسحق رأسي / عيوني تنتفخ بالدموع
ولكنـــي أجـادل
يلـزم أن أقنـــع الآخـرين .
(. . . . .)
واشرح واشرح واشرح ...
الى حد الحمق / أشرح للبروليتاري / اشرح للفلاح / اشرح لامي
على أنـــي سأقنـــع الآخـريـن .
وأصرخ ولعابي يسيل / وأجدف / وأضرب على الطاولة
تتواصل الاستهزاءات / تستجدي النظرات الرحمة /
تتحول الايادي المثارة / الى قبضات ترتفع

فالشاعر الغضوب يريد ان يسرع بتحقيق التحولات : « لطم العدالة / الى ان تنتصب واقفة » وهو « يحلم بالانتقام » . فالقصيدة « مادام ... » :

« ما دام العرق لم يجف / ما دام الخبز لم يختمر
ما دامت البسمة لم تعرفها كل الوجوه / ستكون لي شجاعة .
سأصلح الاراضي بأسناني / سأحرث بأسناني /
سأزرعهـا دمـي المتجمـد /
حتـــى يطلـــع حـــق الفقيـــر
ومن بعد سأجدف / الى ان أبصق على السماء المتكرشة
رماح غضبي المنصيفة . »

وبوجدرة كمفكر هو دائما على اتصال بخياله وبفكره :

« نجادل (.....) الحب / والثورة الاشتراكيـة باسبانيـا / والمخططـات الخماسية بالجزائر / نحلم بعالم رائع / وندير رؤسنا / للذباب المرعب .

ويلتقي المفكر بطفل نائم في الشارع « مغطى بالجرائد / التي تحكي قصص الحب المشهورة / أردت ان اتجادل معه » .

« فاجابني الطفل / كلمات الحلم / لا تهمني
لكن الحقد والجوع / اعرفهما عن ظهر قلب .

ان شعر رشيد بوجدرة عنيف . فالامر يتعلق بهجمة كلماته التي تتوازى مع عنف المزاج .

.. كما كتب جمال الدين بن الشيخ : « لا يمكننا ان نجعل عالما يصرخ شاعريا ... لقد شتم ولعن ، نهنئه على هذا : فهو واجب الكائنات الشابة . لكنه سيدرك الآن ان عملية الكتابة ليست بالسهلة وعمليا فهو يبدأ عمله » (5)

وبالنسبة لبوجدرة يظهر ان الكلام أكثر أهمية من الكتابة أو انه كواد معصوف على حد تعبير كاتب ياسين ،

فهو يندفع في « الهذيان الكلامي » الذي يسمح له ان يتخلص من مكبوتاته

وبدن كيف له ان يضبط نفسه ؟

4) **الحلم البسيط** : نسمي الحلم اليقظ روايه » « الطلاق » هذه الروايه التي تجعل البعض ينتفضون من الغضب والتي تفرح الذين لم يحصل لهم اشباع ويسعون الى محسبه ابائهم ، وان اختلفت مواقف هؤلاء (اب شهواني امر . سلطه مدنيه او دينية ، مجتمع هسري ، نظام متعسف) .

ورشيد الراوي يهدي ، فيحدي لـ « عشيقته » أن رئيس العشيرة « السي الزوبير » قد طلق زوجته و انه سيتزوج فتاة صغيرة جذابة ومغربة في سن الخامسة عشرة من عمرها ، زبيدة . وهذه الاخيرة تثير جميع رجال العشيرة التي غضبت وسط نساء العائلات البورجوازيات . ويحس رشيد على انه مطلق في نفس الوقت كأمه . ومن ثمة فهو يبحث عن الابوة الضائعة وذلك عن طريق تمرده ضد الاب : وحتى ينتقم منه فهو يضاجع زوجة الاب الصغيرة السن . وفي الاخير سيشعر على انه قد ارتكب محرما آخر مع أخت شقيقة . وأخوه « زهير » لوطيي وسكير . ويبحث بهوس عن جنين قد أجهض : سنعرف ان الامر يتعلق بالثورة ، ومات بطريقة يؤسف لها . أما رشيد فانه سيسجن من طرف جماعة تتزعم القمع وتسهر على « نقاوة » المجتمع البورجوازي .

أ ـ بنيـة ثـلاثيـة :

اذا حللنا النص الروائي يتجلى لنا أن هناك عدة مشاهد تتشابك . في بنية ثلاثية . ففي البدء تفجأنا بنية تتشكل من الاخراج ومن التخريف والايهام . فرشيد موجود في حجرة عشيقته « سيلين » ، تقول له « تكلم لي عن أهلك مرة أخرى » (ص. 17) ، فـ « سيلين » هي التي تحثه على الكلام وفي نفس الوقت تستمع الى تخريفه .

ويمكن القول انه أطلق عليها اسم « سيلين » تذكيرا بالكاتب الذي كان موضع بحثه الجامعي . فهي تتجلى كالملاك « جبريل » في الغار الذي كان يتعبد فيه محمد (« اقرأ ») الا أنها لا تحمل رسالة . ورسالة الراوي تتشكل في جميع الاحوال قرآنا مضادا . يتحدث رشيد عن الكوابيس وعن الاحلام البشعة. وليس له شيء يفعله سوى أن « يستمر معلقا بحديثه وبتخريفه » (ص.33)

ومن هنا يمكن القول على أنه سجين « سيلين » التي تلزمه على أن يحكي باستمرار ... وهذا ما يحدث طوال الصفحة 9 ـ 21 ، 33 ـ 36 ، 197 ـ 217 (حيث ان رشيد هو الذي يبقي سيلين « اسيرة لاهثة الانفاس ») . اما في صفحة 245 ـ 174 (حيث نرى الراوي اسير الجماعة في حشرة عشيقته هذا في الظاهر أما في الواقع فهو في مكان آخر) .

بنية من الاحاديث ينتظمها التخيل الادبي ـ تحكي لنا ذكريات الصبا والمراهقة . والمشاهد المتجمعة في هذه البنية لا ترتبط فقط بتلك التي تحث على الكلام ولكن ما نتكلم عنه يعني العشيرة ـ العائلة (الاب ـ الام ـ زوجة الاب ـ الاخ ـ الاخوات ـ بنات العم ـ الاعمام ـ العمات) . وهذا القسم

من الرواية الذي يتطرق للوسط العائلي يشغل الجزء الاكبر من الرواية الشيء الذي يظهر لنا جيدا أن اهتمام الكاتب هو قبل كل شيء نقد للمجتمع البورجوازي المـاكـر .

فـ « الذاكرة ـ الامومة » ترجع بنا الى الازمنة القديمة وتقص علينا ذكريات عن « الطفولة المضطربة » (ص. 21 ـ 32 ، 95 ـ 111 ، 218 ـ 244) وعن الاعداءات ضد الاب (ص. 48 ـ 69) وعن الزواج الثاني لسي الزوبير (ص. 70 ـ 88) وعن المدينة (ص. 89 ـ 94) وعن الكراسات الحميمة لاثنين من المتلصصين : رشيد وزهير (ص. 111 ـ 129) ، وعن المحرم والوعي السياسي (ص. 129 ـ 146) كما تقص علينا ذكريات عن موت زهير (ص. 170 ـ 156) .

بنية من الشرود والهذيان ـ في مستشفى للامراض العقلية أو في « فيلا ـ سجن » ـ تظهر لنا ما يتعرض له الراوي في الجماعة العائلية وفي الجماعة السياسية وذلك أثناء سهاده وجلسات الاستنطاق . ويتذكر رشيد « خلال هذيانه ذكريات الطفولة وارتكابه لمحرم مع أخت له غير شقيقه يهودية (ص 147 ـ 158 ، 959 ـ 169) . والصراع مع الاعضاء السريين للجماعة (العشيرة) لا يتجلى جيدا الا في الصفحات 275 ـ 293 . في حين تبرز السياسة في «جحر» سيلين وذلك عندما تكلم رشيد عن الكاهن الذي « أوصى له بكل ما يملك » (ص. 213) .

ويفضي الراوي من خلال المدخل الروائي الى « سيلين » (ص. 34) على انه كان مسكونا بصورة الكاهن التي تتوزع أحلامه ولحظات يقظته الشاقة ، كما أنه أخبرها مسبقا بكون الاعضاء السريين يترصدون أبسط حماقاته ليزجوا به في السجن (ص. 36) والمجابهة لن تحدث الا في آخر العمل الروائي.

وجميع المشاهد تتشابك أو تتتابع بحيث نشعر بحضور « سيلين » الشريكة التي « تلعب دور الحافز الذي يدفع بعاشقها الى أن يجابه نفسه وعلى أن يستعيد توازنه ليخرج من حالة الوساوس والمخاوف التي يوجد فيها (6) ولئن كان دور « سيلين » ينحصر في دور « الشريكة التقنية » البسيط (ص. 201) الا أنها هي التي فتحت الباب أمام الاعتراف :

« احـك ! »

ب ـ تـفـسـيـر :

ان الواقع والمعاش يتخامران دائما مع الحلم والمتخيل ، مع التخريب واستعادة الذكريات المركبة من جديد . والعنوان يقبل عدة دلالات . فالتطليق هو تطليق أم رشيد من طرف السي الزوبير ، فالابن يشعر على انه معزول كأمه . كما انه يعني تطليق المجتمع البورجوازي البيوريتاني Puritain من طرف رشيد الذي يتمرد ضد الاب وضد كل من يمثله . كما انه يعني رفض السياسة التي اقامتها البورجوازية والتكنوقراطية التـي هـي في خدمـة

البورجوازية المجهضة للثورة . كما انه يعني تطليق الشعب لنفسه : فالشعب صنع الثورة الا ان دوره مقصور على الصمت . ويعني في الاخير تطليق الوطن ـ الام من طرف رشيد .

ويلزم النزول الى مستويات عديدة من العمق لاعطاء تفسير شامل لرواية « الطلاق » ولآفاق التي تتضمنها هذه الرواية المذهلة . ونكتشف في أول الامر المستوى الادبي (الكتابة والاسلوب) . ان الامر يتعلق بالكتابة الهذيانية Ecrit de délire وبالكوابيس . فالراوي يظهر كمخرف يهذي كأحمق . فالجمل التي لها قوة الصدمات الكهربائية والجمل الاسمية والكلمات البسيطة (احيانا قليلة وشاذة) ، الصور المفضبة الداعرة **scatologiques** تتزاحم وتقفز . وذلك في اسهاب منهك . ويمكن أن يظهر اسلوب كاتب ياسين رقيقا أمام هذا الاسلوب الجارف الذي يتقارب مع أسلوب محمد خير الدين . ونشاهد هنا عملية التواءات بلاغية ونحوية ترمز الى الحركة الشديدة لمرضى العقل كما ترمز الى هيجان في « القول »

ولم يكن باستطاعة أسلوب وصفي تابع لخط معين الا أن يفضي بنا الى رواية خلاعية . وننزلق بدون شك وعلى نحو مستمر في الدم والروائح والبراز، ويلتذ رشيد في أن يعري ما هو كائن فوق الحزام، ولان «المزاج شبقي جدا» (7) أو بالاحرى لان التعبير شعري وملحمي أحيانا ـ فهو يمكننا من أن نرتفع فوق المستوى الـواقعـي .

أما المستوى النفسي الاجتماعي فيصدق بشأنه ما سبق ان تعرضنا له في تفسير راوية « نجمة » لكاتب ياسين ، فالامر يتعلق بالزواج اللحمـي وبالزواج فيما بين أبناء وبنات الاعمام وبتقارب الاخوات وبنات الاعمام ، وباثارة الرغبة الجنسية ، وباختصار يتعلق الامر بـ « شرور العائلة » .

وفي هذا الاطار من الحياة المشتركة تشكل « سيلين » حقا الطرف الآخر، الاجنبية الجذابة المرغوب فيها . والراوي يذكرنا على أن رجـال العشيـرة عند ما يضاجعون زوجاتهم « يحلمون بعشيقاتهم وببغايـا الحـي الاروبي » (ص. 55) .

والاجنبيات معروفات بشبقهم ، هذا معروف . كما أنه صحيح أن « بعض النساء الاجنبيات يعشقن الرائحة القوية لرجال البلد » (ص. 158) .

وفي عالم النساء هذا المشرح على النحو الاكلينيكي المرعب والمرسوم بتلذذ شبه مرضي ، يصرخ الراوي ـ الرجل المثار جدا :

« كطفل متجسس ، سأمنع الرجال أن يأتوا
ليشموا ما حولهن / الرائحة الحميمة لشرف العائلة
والموضوعة فيها ثقة العشيرة / وساتزحلق على اهميتي كخفير
كنت ولي أمر حنان القوافل
والمخصي المتعجرف / على باب الحريم المثرثر /

ورقيب أمي التي تحرسها العاهرة /
والعجائز الخبيثات ، سارقات المواليد /
الآئي يبعثهن الى النساء العاقرات / وكنت دائما أبحث عن المترملات
قصد مجـو نمحتمـل . / (ص. 148) .

اما على مستوى الطب العقلي فهو يتركنا نرى بعض الافكار المستحوذة الشخصية، الشيء الذي دفع بعبد اللطيف اللعبي الى أن يكتب « أجد بعض الضعف لدى بوجدرة وذلك في كونه لم يتمكن أحيانا من عزل كل ما يرتبط بالاضطرابات الوجدانية الفردية » (8) . فبعض رغبات الاستطلاع تصدر عن انسان معاصر أو متلصص .

وواضح أنه لا يمكن بسهولة اعتبار الاسرة الجزائرية بوصفها تحتوي على تراكمات سادية أو جنسية تزهر في ذهن الكاتب ، وتعود الى الظهـور بحكم مكبوتاته الشخصية أو مزاجه الخاص ـ مجرد تلك التراكمات ، ورشيد المصدوم يريد أن يشعرنا أحيانا بأن كل العالم مثله . فالطريقة التي يفتح بها القفص المملوء بالشياطين النائمة تجعلنا نفترض أنه لا يوجد هناك رجل يستطيع أن يضبط نفسه وان كل النساء الجزائريـات ينحصـر دورهـن في الجنس (9) .

واما مستوى التحليل النفسي فيغوص بنا الى أعماق «المركب الاوديبي». فالمأساة هنا حادة وذلك بصفة خاصة كما هو الشأن في « الماضي البسيط » لادريس الشرايبي . فالاب قوي على نحو رباني ، يخصي ويرعب . فهو يطلق ويبعد عنه ويرفض ويدين حسب استبداده . والمنطليق يحمل معه ضيـاع الاب . « يقيم الاب فيما بيننا حاجزا من العداء يتفنن في تمتينه . وفي حالة هلع سنندفع الى هوة هذا الصراع الصعب حيث لا يعلن ابداعه الابوان لنبحث عن الابوة الضائعة » . (ص. 46 ـ 47) .

« نريد أن نعثر على الابوة الكاملة ، أن نعثر على الاب وأن نتسامى به (. . . . . وأن نجري عملية التكامل للمعيار » (ص. 98) .

وعند ما يتمرد رشيد ضد الاب فهو يستعين بالوسائل الشبقية المألوفة والتي نجدها لدى ادريس الشرايبي . « أقوم بالانتعاظ ـ كما يحكي ـ الى حد أني في غضبي اخلط بين الاشياء فلا يعود لدي فارق بين ألمي الفيزقـي والانفصال النهائي عن الاب » (ص. 49) . كانت التعويضات الاولى عن طريق الاستمناء والاستهلاك الشبقي الخيالي .

ويأتي بعد هذا ارتكاب المحرم مع الام . فرشيد يتأهـب لان يسقـط صريعا في حب « زوبيدة » زوجة أبيه الجديدة (ص. 75) . ارتكب المحرم . « لم يكن لدينا مآل آخر غير الاغتصاب والاضطراب ، المحـرم والخمـر » (ص. 136) . « اخذت لذته لقتل الاب تفغر فاها » (ص. 139) :

كانت زبيدة هناك « الاثم المتحرك في متناول يدي » (ص. 142)

فهو يرتكب الآثام ويتساءل عما اذا كان قد اغتصب أخته غير الشقيقة « ليلى » التي يجري في عروقها الدم اليهودي كنجمة كاتب ياسين . « وهذا سيفسر تدخل العشيرة المجنونة المتهالكة ورغبتها المجنونة ـ في هذياني ـ بهدف التعرف على نفسها واعادة خياطة ما تقطع منها ، ذلك ان تحرير الوطن قد أتى حاملا معه تصفية الحسابات والقضاء على الاحتفالات والشراء غير الشريف » (ص. 168) . وتأثير كاتب ياسين يتجلى في عدة مقاطع كهذا الذي يقدم « ليلى » على أنها فتاة غير شرعية لسي الزوبير وكذلك عند ما يتكلم الكاتب عن « النسر المتعثر » في الحانات وعن « أرض الاجداد المخربة والتي فقدت بكارتها وخدعت ومن ثمة فهي غير قادرة على أن تقدم لنا واو خبرا » . وعن « نافورة الدم » وعن « العشيرة العملاقة المتفرقة منذ مدة ولم يستطع أحد أن يعيد تشكيلها ولم شتاتها من جديد » ...

أما فيما يتعلق برشيد ـ « الشمس العنكبوتية » ـ فهو مهموم بنفسه ومنطو على شبقيته النرجسية . والاكراميات الجنسية مع بنات الاعمام لا تعد شيئا اذا ما قيست بـ « التعويض » الذي حصل له مع زوجة الاب ، والاخوات بدورهن كان لهن نوع من الاغراء الذي لا مراء فيه » (ص. 30) . وكان أخوه جنسيا مثليا Homosexuel ويعوض بطريقته مع يهودي . ويقول بوجدرة « هذا خطير في أعين المجتمع » (10) . ويعترف الاخوان على أنهما « مملوءان بالحب العنيف لامنا ، الذي يرمي بنا في الاثم والاضطراب وفي عالم يظل منغلقا على حواسنا ـ حبات رديئة مشتتة في قلب الامومة المفترسة (11) (بالكسر) » (ص. 225) . ولم تجد عقدة « أوديب » حلها فبقي رشيد منقبضا في شبقيته .

والاب لا يوجد ، والام يرثى لحالها :لم يبق الا رشيد تساعده« عشيقته»

وأخيرا يظهر جليا المستوى السياسي الذي هو كامن وراء النص الروائي كله ـ وذلك في آخره (النص الروائي) فقط ، وهو التمرد في وجه الاعضاء السريين للعشيرة والمسؤولين عن اجهاض الثورة والمجتمع البورجوازي . « فالاسطورة لا تتعلق فقط بالبحث عن الاب ، ولكن بالاحتقار الطبقي بين اخوة العشيرة والذي تترابط حلقاته منذ مئات الاعوام ، وفي الواقع يتعلق الامر بعمل محبط خلال مدة طويلة ، والجنين لم يكن الابن المنتظرة ولادته من الام المعشوقة ، ولكن الوطن هو الذي كان منتظرا أن يولد ـ نقطة الدم المنتفخة الى حد ان صارت جنينا ومن ثمة سقطت في حالة قدم وفي حالة انتظار ذليل للعنف الذي سيتباطأ في المجيء » (ص. 280) . وهنا نلتقي بصراخ « مؤذن » مراد بوربون . الثورة لم تصل الى طموحاتها.

ورشيد بوجدرة شر ممدلول احتجاجه (12) : « الجزائر ؟ مجتمع تحت سيطرة أمية (.....) يخصي أبناءه وفي نفس الوقت يرتكب المحرم . وتمرد الابناء ضد الاب يتجسد في الفجور . وعندما تقمع الحياة الجنسية ،

يعد عمد سياسيا المطالبة بالحقوق وتأكيد الحرية الجنسيه » . والكاتب يحول « رسم وجه الطبقة التجارية » من خلال العينات الصغرى بالعائلة البطريركيه Patriarcale . فالعشيرة التي تظهر في روايتي ترمز الى البيرومراطية والى تكنوقراطية تخدم البورجوازية . ونقدي للجزائر ليس عفويا ، فانا لا أنكر شيئا من عروبتي ومن حضارتي . اني أنكر فقط الجانب المرضي من المجتمع الجزائري . اني أهاجم البورجوازية فقط ، أريد أن أعثر على أن الاسلام يستعمل في تنويم الشعب « عند ما نجوع ولا نجد ما نأكله على النقاوة الاصيلة : فزاويتي تحبل بالضرورة الثورية » . يمكن أن نقول أنه يبحث عن التربة « الملحدة » وعن نقاوة الاصول (13) . ويعتقد بوجدرة كيف لا نستهلك الروحاني ؟ ودين الاقوياء ليس الا عملة الفرد . فهم يعتنقون الاسلام على مستوى ديماغوجي . وفي روايتي أدين خبث الجزائر البورجوازي المتدينة والتي تندفع الى الفجور والانحراف على نحو سري . »

فالامر يتعلق هنا كما عند محمد ديب بارادة قول الحقائق ورفض قناع الكرامة التقليدية ، وعلى أي فالكاتب لا ينتقد هذه الطبقة البورجوازية بسبب كونها منحطة نهائيا ورديئة جذريا ولكن لكونه يؤمن بأنها قابلة لان تصل ذروة الكمال (14) . وهو ينتقدها من « الداخل » نفسه وان كان يوجد جغرافيا خارج الجزائر . ويمكن أن نحلل على نحو خاص الازمنة القوية والكلمات الهامة . فالازمنة القوية هي أمسيات رمضان (ص. 21 ــ 32) وعيد الاضحى الذي يذبح فيه الخروف (ص. 218 ــ 244) وكذلك الهبوط الى جهنم يعني الفرن الذي حمل اليه الطفل رؤوس وأرجل الخراف قصد شوائها الا أنه سقط في يد لوطي . والازمنة القوية هي أيضا الزواج الثاني لسي الزوبير : « أبى ذو الخمسين سنة . اعراس متشنجة » (ص. 70 ــ 88) . ودفن زهير (ص. 170 ــ 196)

كل شيء يقع في غمرة الطفولة المضطربة . فالراوي خضع الى عنف شرس في ضميره ، وخضع الى احتراق في وجدانه وسحق كبسروع Chenille يبصر جيدا » (ص. 138) . « الطفولة كانت عبارة عن اضطراب » (ص. 218). « ليس لدينا طفولة ذلك أننا مزجنا الدم بالدم دون ان نفرق بينهما » (ص. 233) . « فالاضطراب كان يداخلنا منذ طفولتنا المنهوكة بسبب هذا السياق لاكتشاف الاب القضيبي Phallique الواثق من نفسه ، والضائع في السحر ، والذي تستأثر به جميع زوجاته اللائي نتابع ظلهن المرح وذلك بدون انقطاع وبدون أمل ، منقذفين بين الالغاز » (ص. 220) . واضطراب / خراب الطفولة كان عن طريق الليالي الماضية والخوف من الكبار والرعب من الدم .

والكلمات الهامة يمكن ان تكون من جهة ككلمات الدم (15) والجنس (الختان ، الرحم) حليب المرأة وذلك في سياق الاشمئزاز والكره والتقزز

ووسط روائح الدم والمني والبول وبصل الحفلات والانفاس التي لا طعم لها والعرق ...

والمرأة هنا شيء نتلهى به : نستهلكها ثم نلقيها بعيدا ونطلقها . نغتصبها ونحتقرها ونلصق بها اسم البغي حتى نتمتع بها جيدا (ص. 45). وليست هي الا لحما يلزم أن يعطي اللذة واداة لانتاج الابناء . وهي جنس متواصل ومحرم وفي نفس الوقت معبد احتياطي . ومن جهة أخرى نلتقي بكلمات ككلمة : الدين ، الاب ، العشيرة ، الله ، والاجداد . « والطفل مطرود دائما بعنف وحدة هؤلاء الافراد الكبار » . (ص. 242) .

وهذا العالم المجنون لا يمكن أن يعطي الا عقدا مخيفة . والابن يتهيأ لان يقوم بالعمل الارهابي « ضد أبيه ـ النقيض » (ص. 50) . « ويستحوذ الاب على فكر الابن على نحو موجع ـ كما كتب أحد النقاد ـ ويتحول هذا الاب الغامض الى أسطورة الى حد يدفعنا الى ان نتساءل عما اذا كان هو الاله»(16)

وكهف رشيد ـ زهير هو المكان الذي يتطاير فيه هذا القرآن ـ المضاد . ويقول بوجدرة على أنه أعطى لروايته شكلا دائريا . والامر يتعلق بحلزون يوصل الى مغارة ، أو بالاحرى الى سجن . ففي البدء ـ يسجن الراوي وكذلك الامر في آخر العمل الروائي . ونشعر بأنه يسكن شقة « سبلين » أو شقة بمستشفى الامراض العقلية ، أو « فيلا » حيث تعذب . « اني أعتقد شخصيا ـ يقول الكاتب ـ على أنه ينحني داخل السجن في خفاء ، وعلى أنه يحلم بشقيقته » (17) . وهذا الاعتراف كاشف وذلك بصفة خاصة . وعندما سأل عبد الوهاب بوحديبة السجناء ـ الباحث الاجتماعي التونسي ـ سمع هؤلاء يرسمون (بالقول) صورا رائعة للسجن . وفي المصطلح العربي المبتذل يعتبر هذا الاخير بالنسبة اليهم « الرحم الكبير » . « فالسجن يقول بوحديبة ، بشكل وسطا أموميا حقيقيا . فلقد أعطيت له دائما تقييمات فائضة . كما أثير على مستوى غزلي وذلك على وتيرة شبه دائمة » . وأيضا « هو عبارة عن محضنة Couveuse حيث تنتظركم عاشقة ورحما كبيرا يضمكم » . ويشبه نفس الكاتب غالبا السجن بالحمام ويحاول استنتاج الابعاد النفسية له (18). « انه من المحتمل جدا ـ يقول بوحديبة ـ على أن السجن يشكل الحالة القصوى لسيرورة التعرف على الذات ويوقظ الرغبة للرجوع الى الام الرحم...

أن تبتلع يعني أيضا انك معتقل ذلك ان السجن يبتلع ولا يفترس . وهذا يشكل هبوطا حقيقيا الى الجحيم الذي يتجذر في حقيقة حلمية (بضم الحاء) . وتتجلى ازدواجية السجن في رغبة دخوله والخوف من دخوله ، ذلك أنه لو كان ملاذا حقيقيا فهو ملاذ جهنمي . والعودة الى السجن هي عودة الى الام ، عودة الى الطفولة أو بالاحرى نوع من لا رجوع الطفل الضال المثقل بالآثام والعيون والشقاء والاحساس بالخطأ . » (19) . وفي هذا الكهف الامومي يحلم رشيد بعشيقته : يحلم بها ويحلم بنفسه . و « تتحرك » ذاكرته بداخل

هذه المغارة ، تدور حول نفسها باحثة عن زمن ما قبل الولادة وعن البراءة الاولى وما وراء الاضطرابات التي تركته مبتورا . وينسحب الى عشيقته كما لو انه يلتجيء الى ثدي أمه باحثا عن « المرأة المطلقة » .

وهنا يظهر بوضوح ـ على ما يخيل البنا ـ ما سبق أن قيل بصورة ضمنية وبين السطور وفي بعض الحدود في عمل كاتب ياسين الباحث عن « المرأة المتوحشة » .

ويجب أن نقول أخيرا على أن « زهير » « المتمرد » من النمط الذي لم يعقلن تمرده » الاستعرائي exhibitionniste الذي يحب ما يترتب على ممارساته الجنسية المثلية مع يهودي من فضيحة ، على انه « الوجه الثاني للراوي أو بالاحرى الوجه الثاني الذي يتأمله الراوي » كما يؤكد ذلك بوجدرة نفسه . فهو وجه ثان يتحرك ويشرح . ويظهر لنا رشيد ـ زهير هذا النرجسي في آخر الامر كسجين نفسه ، وذلك في جو اعتقالي Carcéral . يضرب الارض برجليه كطفل مرعب محاولا عن طريق خرافاته وغضبه استقطاب الانظار نحوه.

ج / آراء القـــراء :

لنقل في البدء على أن رشيد بوجدرة يحس « على أنه بقي بعيدا عن الحقيقة » . ويقول على أن كاتبة جزائرية هي التي يمكنها أن تكتب رواية عن المرأة الجزائرية ، وقليلات هن اللواتي تحررن حقيقة . فالبنات اللائي يدرسن بالليسيات يخضعن لسلطة اخوانهن وهو نفسه يعترف « انه كان من أولائك الذين يقهرون أخواتهم » . « فلقد كن محتجبات وكنت أحرسهن » . « قد يكون أني ذكرت هنا وهناك خرافات وفي غالب الامر لم أستطع ذكر كل الحقيقة . اريد أن يكون هذا العمل الروائي مناسبة لان يعي الرجل والمرأة طبيعة مجتمعنا التي ليست هي اقطاعية ولكن فوضوية حيث يمارس الدين تأثيرا قويا » (20) .

وأعلن شباب جزائريون عند ما قرأوا الرواية على أن الواقع « أردأ مما هو موصوف فيها » . والذين عاشوا نفس الحقائق ويتعرفون على أنفسهم في أوضاع تتجابه فيها الكائنات ويرغ ببعضها في الآخر ويتراجعون عن هذا وبذلك لا يتمكنون من أن يتواصلوا حقيقة . وتضع جزائرية أبدينا على بعض النقط بالرواية التي يجب ادراجها في عداد المبالغة والتخريف أو العصاب الفردي . ولكن هناك كثير من الحقائق ـ كما تقول ـ وتحكي بدورها المغامرات التي جرت لها مع أبناء أعمامها . ولقد رأينا أيضا جمال الدين بن الشيخ يبدي تحفظات ويظن على أن « ملابسات مشكوك فيها » ترين على هذا العمل الروائي . ورفض جزائري آخر ، كاتب وشاعر ، هذه الصورة المرسومة للعائلة الكبيرة : لا يمكن بدون شك تعميم الحقائق المذكورة بالرواية ، وبوجدرة كبر بجلاء الاوجه الشبقية لمجتمعنا .

ولئن كان عبد اللطيف اللعبي يسجل بعض نقط الضعف للعمل فهو يكتب

قـائــلا :

« كيف لا نتاخى مع هذا الصوت الحاد المتفيح الهذيانـي المنهـك (بالكسر) المثير ؟ وجيلنا في وضوحه الذي لا يرحم لا يعطي أي اعتبار للاخلاق المهتزة أو المطعمة ، كما أنه يدرس حدود كل ما هو شرعي وما هو مسمى . ويجسر على أن يعري بل يبعثر تحت المجهر القوي جدا ، الحقائق التي يزخر بها الواقع ويقذف بها في وجه القراء المختلفي الطباع . وهكذا فليقطع كل من ينتمي الى جيلنا والمعنيين بهذه الواقعية الارهابية ، هذه الواقعية المغربية ـ ارتباطهم الاخير بالادب البورجوازي ـ الحميم الصلة بالامجاد الغابرة (.....).

ويغتنم اللعبي الفرصة ليدافع من أجل قضية هذا الادب (أدب شمال افريقيا المكتوب بالفرنسية) : « اقرأونا بارتباط كلي مع ما نحن عليه وبارتباط مع مشروع نحاول بصبر وتواضع وبحرية أن نرسي قواعده والذي نطلب منكم أن تضعوه موضع نقاش وأن تثروه »

وبالرجوع الى رواية بوجدرة ، يقول اللعبي على ان تقديم الناشر لها أثـاره :

« ليس هناك أكثر زيفا وأكثر تجارية كهذا النوع من البيع عن طريق المزايدة للغضب (.....) . فالناشر الباريسي يربح مقابل النشر وامتيـاز اكتشافه للمتمردين ، واذن كمدافع عن حرية التعبير . » ويقول أيضا « أن الباس القبعة هذا للاعمال المغربية والافريقية ، المنشورة أيضـا وللاسـف بالخارج ، شيء مضعف الى أقصى الحدود يفضي دائما بكاتبنا الى مواقف خاطئـة » .

ويأمل الكاتب على أن يقول بوجدرة « لا » لكل محاولة « التعويض » (عن الخسارة) عن طريق جائزة (غونكور الادبية أو أخرى) أو الاندماج بالنظام الايديولوجي والاقتصادي الذي يعرفه . وأخيرا يقول « اقرأوا رواية بوجدرة، واني أعدكم بأن تجدوا تقززا كبيرا ، وتوترا كبيرا أو على الاقل نفسا كبيرا عميقا من الحقيقة ولعدالة » (21) .

واحتوت انتقادات أجنبية بسرعة هذه الرواية المتفجرة . ويشيد جان فرانسوا ريفل في « الاكسبريس » الصادرة بتاريخ 25 شتمبر 1965 بالاسلوب الا أنه يبدي ملاحظة بشأن « الاسهاب المزخرف » والافراط الكلامي الذي يفضي الى التشابه والتخائل . وبالنسبة للنقد يتعلق الامر في العمل « بتعرية عنيفة لجحيم اسلامي ولاحباطات جنسية مستحوذة » .

ويكتب « جان كوفاغ » في « لاكانزين ليتريير » الصادرة بتاريـخ 16 اكتوبر 1969 على أن هذه الرواية سد ينفتح ويترك مياها مختلطـة تتسرب (منابع أعالي الجبال وبالوعات المدن) وتندفع بقوة السيل : « فبعد قرون من الاقطاعية ومن الخضوع الديني ، وبعد مئة وثلاثين عاما مـن الاحتـلال الاستعماري ، وسبعة أعوام من الحرب الهادفة الى الاستقلال المحلوم به ،

وبعد سبعة أعوام من التبعية الحقيقية ومن الامتثالية الثورية (وليضف الهلالان المزدوجان من يريد ذلك) انتهكت فجأة المحرمات وظهر على نحو منفجر العمل الروائي الجزائري الاصيل الذي لا يهتم بالجزائر كموضوع أو كحديث أو كتاريخ ، لكنه كجسد وكعذاب وكطريقة تفكير وكرفض وكطريقة وجود واستفراغ محتويات الوعي » (22) .

2 ـ الـكـاتـب :

وينكشف رشيد بوجدرة أصيلا عند ما يكتب أشعارا وروايات الا أنه دون ذلك في أبحاثه التي تركنا ـ هذا في رأيي ـ نتطلع الى الجيد منها . ومنذ الصفحات الاولى لرواية « الطلاق » نفهم أننا بعيدون عن الادب وعن الاسلوب « الانتوغرافي » لبعض الروائيين المغاربة . وكما يكتب اللعبي « يجب أن نقرأ هذا العمل بعد أن تقفل جميع المعاجم وبعد أن تقطع الصلة بكل ما يرتبط بالمراجع والذكريات والروايات الادبية » . و « سيشعر الكثيرون على أنهم فقدوا الاتجاه وينعتونها بالغموض ومن ثمة سيبذلون جهدا لقراءتها » . وتأثير كاتب ياسين والكاتب « سيلين » واضح شيئا ما . أما بالنسبة للجهد المطلوب لانهاء الكتاب ، يعترف البعض على أنهم أجبروا عليه . كما أنه من الواضح والاكيد أن الرواية كان من الممكن أن تكون أقل حجما مما هي عليه ومن ثمة فان قراءتها متعبة اذا ما أدخلنا في اعتبارنا وفرة وتزاحم الصور .

1 ـ مـهـمـة الـكـاتـب :

ولا بد أن نعود الى الرواية ذلك ان بوجدرة استطاع أن يدلي بتفسيرات حولها (32) .

« اعتقد بصراحة ـ يقول ـ أني كتبت هذا العمل وأنا في حالة من الانتشاء ، وحالة ثانية (.....) . لقد اقترحت على نفسي أن أحكي قدرا ملموسا ومعاشا ، قدر أمي ومن بعد اتخذت الرواية اتجاها آخر . والتصق الهذيان كتطعيم بجسد الرواية » . فلقد كتبها خلال ستة أشهر ، فيما بين غشت 1967 ومارس 1968 (24) . وهو لا يشطب ، بل يصلح بعض الصياغات النحوية ، لكنه لم يحذف أية فقرة . « اكتب باندفاع واحد واطلع زوجتي على النص . الا أنها تقول لي دائما على أنه رائع ! »

ويتشبث بوجدرة بكتابته الهذيانية . أعتقد أن الحقيقة الجزائرية ، العربية ، المغربية ، الاسلامية هي في الواقع ومن وجهة نظر ارتباطات الناس فيها بينهم ، ومن وجهة نظر بسيكولوجية : هي حقيقة هذيانية . والحال هذا فاني أعتقد وأفكر بموجب الهذيان . وأحب أن أقوم بتقريظ الحمق . فهو يفتنني كما هو الشأن في الرواية ، والراوي بدوره مفتون بالحمق . واذا ما اختفى ذلك فقد يكون ذلك بدافع جمالي » .

كما أنه يتشبث بهذيانه الكلامي . « خلقت كلمات ، وتعابير جديدة . والبطل يتكلم وكلما تكلم أكثر أحس بأنه يهذي . وكذلك فان مختلي العقل

يخلقون غالبا كلمات جديدة عند ما يصابون بفقدان الذاكرة ومن هنا كانت ضرورة النعوت » .

ويمكننا أن نلاحظ أن الكاتب أتيحت له الفرصة لمشاهدة مختلي العقل خلال السنة الاولى من الط ب بمستشفى الامراض العقلية بالجزائر العاصمة « كنت دائما مفتونا بالحمقى » . وبوجدرة لا يكتب تحت تأثير الحشيش أو الخمر كما يفعل آخرون أحيانا . لكن فيما يتعلق بالشبق الجنسي « فانني أعتبره ـ كما يقول ـ ضربا من الحمق (.....) فهو ميزة وخاصية شعوب المغرب العربي والبحر الابيض المتوسط بصفة عامة . واني أنجذب الى النساء وأنفر منهم » .

وفي تصريح له لجريدة « لوموند » الصادرة في يناير 1967 يفسر الكاتب بأن شخصيات روايته (الراوي ، الاخ الاكبر) « يتوصلون الى الايمان عن طريق العجوز . ويعودون الى لغة الطفولة والى البراءة . انهم أخلاقيون . يرفضون العالم المعطي لهم ، عالم متعفن :

مجتمع الاب الذي يظهر القداسة ، ويخفي الفسق والاباحية ، والعنف . وبعبارة أخرى بتهالك مخلوقاتي على العجوز لكي تبرىء نفسها من التقزز عن طريق تقزز مفرط » .

والكاتب مزدوج اللغة ! ويعرف الشعراء العرب أحسن بكثير مما يعرف الشعراء الفرنسيين . ويتمنى أن يبرز في عصرنا الشعر العربي الذي يشيد بالخمر والنساء .

وترجم الكاتب مسرح « لوركا » الى العربية الدراجة . ويمكن أن نقول أن شرط المرأة في أعمال شعراء الاندلس قد أثر على بوجدرة . ولو كتبت روايته بالعربية لما قرأت الا من طرف بعض الجزائيين . ويقول أن ذلك قد يكون تسبب في رفض النشر له . ولقد اعتبرت ترجمته لمسرح « لوركا » عملا ثوريا بالجزائر وذلك بسبب مشكلة المرأة :

« عند ما يسمح لي الوضع السياسي فاني سأكتب مسرحيتي بالعربية »

ويحب بوجدرة أن يكتب مسرحية بالعربية الدارجة :

» يجب أن تصير اللغة العربية من جديد اللغة السائدة » .

2 ـ الادب المغربي :

يتعرض بوجدرة كباقي الكتاب الآخرين الذين يكتبون روايات « كأعمال سياسية » ، الى خطر « تعويض » قرائه بالقراء الاجانب . وهو يعي هذه المشكلة الا انه لا يعرف ماذا يفعل بشأنها . « القليل منا له امكانية التعبير بحرية داخل الوطن » . وفي جميع الاحوال ، فهو نفسه يعمل على أن ينتقد مجتمعه من « الداخل » وان كان يعيش خارج الحدود .

وحسب رأيي فان الادب المغربي يهيمن عليه حاليا كاتب ياسين ومحمد خير الدين .

ولماذا يتكلم الكتاب الجزائريون بصفة خاصة عن الحرب ؟ وحسب كاتبنا هناك ثلاثة عناصر تؤخذ بعين الاعتبار . لقد كانت هذه الحرب حدثا هاما في تاريخ الشعب الجزائري ، الا أننا بالمحافظة على هذا « الوريد » الحربي ، فاننا نشيع اعتقاد كون الايديولوجية الوطنية وحدها تبقى ايديولوجية تقدمية بالجزائر ، وتبقى ايديولوجية ديناميكية : « وهذا خطأ . فالمستقبل الآن للاشتراكية » . وأخيرا فان غياب كل تجاوز لهذا الموضوع ولهذا الميدان « يشير الى افتقاد الافق عند كثير من الكتاب ، وهم يقتصرون على أن يضربوا بديماغوجية على الوتر العاطفي للشعب » (25) . وهذه الاحاديث تلتقي مع تلك التي ألقاها مصطفى الاشرف في اللقاء الذي خصص للرواية المغربية بـ « الحمامات » بتونس وذلك في دجمبر 1968 .

وان المنعرج الذي اتخذه كتاب شباب منذ 1966 يدل على أن هؤلاء ينوون حفر خط آخر أكثر « ثورية » (26) .

وينبغي أن نعترف بأن تقريظ الحمق والهذيان من طرف رشيد في روايته يصدم كثيرا من القراء حتى المتمرسين على قراءة هذا النوع من الكتابات . ولئن انطلق من الحالة الملموسة لامه كما انطلق كاتب ياسين من « المرأة المتوحشة » ، فالكاتب عمم وارتفع بتلك الحالة الى مستوى أبعاد وطنية . وهكذا يدفعنا وبدو نشك ـ لا شعوريا ـ لان نعتقد في عدم وجود نساء سويات جنسيا بالجزائر وفي كون رجال هذا البلد ينحصر اهتمامهم في الجنس .

وعلى أي فان حديث هذا الطفل المرعب لا يمكن لنا أن ننكره ، بحجة أن الصياغة صارخة جدا . والامر لا يتعلق الا بروايته الاولى . الا أن تجربته الاولى هذه تظهر لنا على أنها تجربة محنك .

وفي مجموعته الشعرية ، يؤكد بوجدرة على عدم ارادته في أن يحلم وفي روايته يفتح الابواب لحلمه اليقظ ، وينقل الواقع الى كابوس الجنون و « أعراس الدم » . ويعتقد « اللعبي » أن الامر يتعلق هنا بعمل يرهص بأعمال أخرى . ليس بسبب أن القارىء يريد أن يبقى طعم الدم والحليب بفمه ، ولكن لان رشيد بوجدرة ـ على ما يبدو ـ يمكن بدون شك أن يمنح الكثير الى التيار الادبي بشمال افريقيا .

ترجمة : الدامون نور الدين

---

* كتب « ديجو » هذه الدراسة قبل أن تظهر للكاتب روايته الثانية « التشمس » .

أخذ هذا النص من كتاب جان ديجو :
« أدب المغرب العربي » نشر دار لوسوي

الهوامش

(1) كتب هوغو سنة 1816 : « أريد أن أكون « شاتوبريان » او لن اكون شيئا » .

(2) Interview ; l'Afrique littéraire et artistique ; n° 8 , Décembre 1969

(3) Interview ; Le Monde ; 24 Janvier 1970

(4) Révolution africaine ; n° 157 ; 29 Janvier 1966

(5) Révolution africaine ; n° 157 ; 29 Janvier 1966

(6) كما لاحظ ذلك جيدا يعدي اندريس بوراوي في نقده للرواية :
Voir Présence Francophone ; n° 2 ; printemps 1971 page 205

(7) Interview de Rachid Boudjedra ; L'Afrique littéraire et artistique ; Cité

(8) Souffles ; n° 16/17 ; 4 trimestre 1969 ; Janvier-Février 1970

(9) كتب جمال لدين بن الشيخ بهذا الصدد « ان الصورة الهزلية للمرأة الجزائرية : أم ، أخت ، زوجة . المقصور دورهن على الجنس شيء لا يقبل على وجه الدقة » (« لومند » 2 ابريل 1971) .

(10) يقول بوجدرة ، كتابي ليس فقط ادانة للنظام الاجتماعي والسياسي . لقد اردت كذلك وعلى وجه الخصوص ان اكتب عملا تحليليا نفسيا » لـ « لافريك ليتريير » ..... المشار اليها آنفا) .

(11) « لافريك ليتريير » .... المشار اليها آنفا .

(12) « عند كاتب ياسين يتخذ (المحرم) معنى رمزيا كما يقول بوجدرة (أنظر المرجع السابق . وتكاثر المحرم يمكن أن نفهمه عندما لا يغيب عن بالنا ان بورجوازيا جزائريا يمكن له ان يتزوج حتى اربعة نساء في حياته . بمعنى آخر اذا كان عمر الزوجة الثالثة عشرين عشرين عاما ، فلما نفس سن ابنه الاول الذي جاء نتيجة ابنه الاول » .

وفي الحقيقة وعلى ما يبدو ان السبب الحقيقي للرغبة في ارتكاب المحرم لا يكمن هنا : يجب أن نعرف الارتباط العاطفي للام بالابن وكذلك العكس مع ما لهذا الارتباط من آثار شبه مرضية ، هذا دون أن نشير بالضرورة المساواة في السن .

(13) في جريدة « لومند » الآنفة الذكر ، صرح أيضا بصدد روايته :
« ان ظهورها اتخذ بعدا سياسيا تجاوز توقعاتي تماما »
(Interview, Contact (Tunis) ; n° 5 19/2/1973

(14) ويلاحظ « جان كليفش » بشان اسطورة الاصول على انه في كل انطلاقة العمل الثوري، هناك ما يمكن أن نسميه « اسطورة الاصول » . « كل ثورة هي بحث عن الجنة المفقودة » .
(Révolution et Tradition ; PARIS ; Janvier 1947 pp. 13 et 14)

(15) يقول بوجدرة على ان وسواس الدم نجده على عده مستويات :
ذبح الخراف ، حيض النساء ، الختان ... « كنت انوي ان ادرس الطب لكني عدلت عن هذا ذلك اني كنت اخاف كثيرا من الدم . والدين عن طريق محرماته ينمي هذا النفور » . (لافريك ليتريير ... المشار اليها سابقا) .

(16) Jean Gaugeard ; « l'Algérie Comme Chair » ; La Quinzaine littéraire ; n° 81 16 Octobre 1969 ;
Voir aussi ce que l'auteur dit des mots-Souches.

(17) « لافريك ليتريير » ... المشار اليها آنفا .

(18) « Le h'ammam - Contribution à une psychonalyse de l'Islam »
Revue tunisienne de Sciences Sociales ; n° 1 ; Septembre 1964 ; pp. 7 - 14

(19) Abdelwahab Bouhdiba ; Criminalité et Changements Sociaux en Tunisie ; Tunis ; Mémoirs du C.E.R.E.S. 1965 ; pp. 64 - 66

(20) « لافريك ليتريير ... » المشار اليها سابقا « اردت أن اكون شاهدا ضد ظلم المرأة في العالم العربي » (نقلا عن « جان فروستي » ، لونتيل اوبسرفاتور ، 11 سبتمبر 1972) .

Souffles ; coté (21)
Voir encore par exemple les Lettres Françaises ; 10 Septembre 1969 ; (22
Jeune Afrique ; n° 460 ; 22 Octobre 1969 ; Magazine Littéraire ;
n° 349 Novembre 1969 ; La Nouvelle Critique ; n° 29 Décembre 1969 ;
Maghreb ; n° 38 ; Mars-Avril 1970 ; le Nouvel Observateur ; n° 255 ;
29 Septembre 1969.

سيصدر ميلم عن رواية « التطليق » ويقول بوجدرة عن انه سيمكنه من التخلص من العقدة التي يشعر بها تجاه اللغة « وذلك في النطاق الذي كتب فيه بالفرنسية في حين اني استطيع الى حد ما ان اكتب بالعربية » .

(Contact ; cité ; voir aussi ibid. ; n° 3 ; 22 Janvier 1973 p. 12)

(32) لافريك ليتريير ... ، المرجع الآنف الذكر .

(24) كتبت الاسطر الاولى من الرواية سنة 1965 (خلال انقلاب يونيو) . لم نكن نعرف ماذا سيحدث ، وجدت نفسي ملزما بان انفرد بنفسي وكتبت الفصل الذي يتقابل مع الفصل الثاني بالرواية » . لقد كان هذان الفصلان رديئان شيئا ما ـ يقول الكاتب ـ الذي عدلهما على نحو عميق بعد أن كتبهما خلال خمسة عشر يوما .

(25) لافريك ليتريير ... ، المرجع السابق .

(26) يعتقد بوجدرة « ان السياسة تاخذ باهتمامه أكثر من الاهتمامات الاخرى ولو كانت فنية ، يا للاسف ! » . لكنه حاول في كتابه ان يوفق بين عنين الحافزين . ويستطيع ان يثبت ان روايتيه الاثنتين ممنوعتان بالجزائر (نظرا لما فيهما من شبقية !) لكن « نفس النسخة تقرا من طرف اثنان ، ثلاثة ، عشرة اشخاص ! ومن ثمة فان لدي قراء بالعربية اكثر من القراء بالفرنسية » .

السينما العربية

مجلة تصدر كل شهرين عن المكتب الاوروبي لاتحاد النقاد والسينمائيين العرب

المسؤولان عن النشر : عبده عشوبة وخميس الخياطي

العنوان : 22 زنقة أرطوا ـ باريس 8

CinémArabe

l'UCAC : c/AFAE

22. rue d'Artois - Paris 8e FRANCE

الاشتراكات بالمغرب ترسل باسم رئيس الفيدرالية الوطنية للنوادي السينمائية المغربية ـ 9، زنقة وهران ، الرباط